العدد السابع والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – كانون الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"دور الروابط الحجاجية وأثرها في حديث القمر للرافعي"

إعداد الباحث:

الدكتور يوسف محمد عبده

الأدب والنقد – الأدب الحديث

عمان – الأردن

العدد السابع والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – كانون الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ملخص البحث:

تسعى هذه الدراسة للكشف عن تقنيات الحجاج اللغوي في مقالة حديث القمر للرافعي ، وقد عملت هذه الدراسة بتسليط الضوء على أكثر الروابط الحجاجية استعمالا في المقال . من خلال تقصّيها والوقوف عليها؛ لمعرفة مدى قوتها الحجاجية والدور الذي ساهمته في الربط والتقريب بين المعاني وتحقيق الإقناع والتأثير. ولذلك تمحورت هذه الدراسة حول بُعدين أساسيين هما:

أولا : البعد النظري ؛ وتطرق إلى تحديد مفهوم الروابط الحجاجية واستعمالاتها وأنماطها.

ثانيا : البعد الإجرائي ؛ ونمذج مقالة حديث القمر للرافعي بوصفها نصا حجاجيا.

الكلمات المفتاحية : الروابط الحجاجية ، الرافعي ، المقالة ، حديث القمر.

المقدمة

مهما كان شكل الخطاب الأدبي وجنسه فإن له دورا في تقريب وجهات النظر وإيضاح الحقائق وتوجيه الناس صوب الوجهة التي يرتضيها صاحب الخطاب ، والمقالة من الأجناس الأدبية التي تستخدم كشكل من أشكال التعبير والتواصل يرمي من خلالها المرسل إلى تحقيق أهدافه ومقاصده ، ومن الأغراض التي تحملها المقالة غرض النصح والإرشاد ، يهدف صاحبها إلى توجيه النصائح والتعليمات والإرشادات لفئة من الناس ودعوتهم للقيام بعمل معين أو تركه أو اتخاذ موقف أو تنفيذ أمر بغية الإقناع والتأثير ، ولتحقيق هدف الإقناع يتبنى المرسل إستراتيجية تداولية تعرف بالحجاج الذي يعنى بدراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المتكلم للتغيير من معتقدات المتلقي وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله.

و تعد المقالة شكلا من أشكال الخطاب في المجتمع ، فهي جنس أدبي له أبعاد تواصلية ،تدل على العديد من القيم المشتركة بين أفراد الجماعة الواحدة : النفسية والاجتماعية والفكرية ..، وتعتمد المقالة على جملة من الحجج والبراهين التي تقوم على إقناع المتلقي والتأثير فيه ، تتحد جميع أركانها وأجزاءها وتتداخل مع عوامل خارجية أخرى بشكل مباشر وغير مباشر مما ينتج عملية تواصلية بين المرسل والمتلقي ، وسعيا منا لفهم طريقة تشكل هذه التقنيات والأساليب الحجاجية في فن المقالة ، قمت برصد طرق وآليات الحجاج في مقالات الأستاذ إبراهيم العجلوني ؛ لكونه منجما غنيا بأساليب وآليات الحجاج.

و تعتبر المقالة أحد الأجناس الأدبية الحديثة التي ذاع صيتها في المجال المعرفي بداية من القرن التاسع عشر نتيجة لعدة عوامل برزت جليا في الصحافة والبعثات الطلابية ، بالإضافة إلى الطباعة وكذا الترجمة ... كما أن هذا الفن له أصول في التراث العربي من خلال أدب الترسل حيث تمثلت في أحسن صورها وأروعها لاسيما الرسائل الاخوانية والرسائل العلمية وبالعودة إلى كتب الأدب العربي يتبدى لنا عن نماذج مقالية في: الكتابة ، والسياسة ، والاجتماع ، والفنون ، والعلوم ، فرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب مثل على المقالة الأدبية ، ومقالات ابن المقفع في الصداقة والصديق مثال للمقالة الاجتماعية ، ومقالاته في الحكم مثال على المقالات السياسية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة. وترجع أهميته إلى أنها، وسيلة من وسائل نشر الثقافة ، ومعالجة المشكلات السياسية والاجتماعية والفكرية ، والتنبيه والإثارة لقضايا الفكر والاجتماع ، وتعبير عن حرية الرأي ، من ألوان الإبداع الأدبي.

وما يميز فن المقالة من بين الفنون الأخرى أنه أكثر الأجناس الأدبية انفتاحا على غيره من الفنون ، وتداخلا معها ، وأيضا لا يخفى مدى إسهام المقالة في إثراء الحياة الأدبية والثقافية والفكرية في الأردن ومعظم البلدان العربية . ومن أبرز كتّاب المقالة في الوطن العربي مصطفى الرافعي ، الذي اعتنى عناية كبيرة بهذا الفن ، حيث استوعبت جمهرة مقالاته كثيرا من آرائه وأفكاره ومواقفه ، في شؤون الحياة المختلفة، إذ عُني بالشؤون الوطنية والسياسية والاجتماعية والأدبية والنقدية ، كما أنه يعد صاحب تجربة غنية في هذا المجال.

و مقالة " حديث القمر" للأديب مصطفى الرّافعي، يعتبر من الشعر المنثور ، وقد عرض الرافعي في هذه المقالة لمعنى البلاغة والبليغ، ثمّ ينطلق إلى مناجاة القمر في شعر منثور تسيطر عليه الرمزية والرومانسيّة والفلسفة: فلسفة الحب والجمال وفلسفة الحزن والبكاء، ويعرض فيه كذلك لمواقف من الزمن والطبيعة والقانون والغنى والفقر والنبوة والألوهيّة والإنسان الكامل والقانون وإلى غير ذلك من الموضوعات الكبيرة المبثوثة في ثنايا ذلك الكتاب، وكانت بغية الرافعي التي يرجو حصولها في كتابه هذا أن يجعله أمثلة على ما يسمّيه هو "علم التصوّر الكتابي"، وهو علمٌ يُعرَفُ من أمثلته من دون أن توضع له القواعد كما يقول الرافعي نفسه؛ إذ قواعده في جملتها هي "إلهامٌ ينتهي إلى الإحساس، وإحساسٌ ينتهي إلى الذوق، وذوقٌ يفيضُ الإحساسُ والإلهام على الكتابة جميعًا؛ فيترك فيها حياة كحياة الجمال لا تُداخل الروح حتى تستبدّ بها، ولا تتّصل بالقلب حتى تستحوذ عليه" وكتابه هذا من الأدب الرمزي كما سبق وأُشيرَ إلى ذلك؛ ولذا فإنّه سيكون غارقًا بالرموز والإيحاءات التي لو أراد امرؤٌ إطالة النظر فيها فإنّه سينكشف له أنّ كثرة ذكر الليل دليل على أنّ الكاتب يرى فيه إمتاعًا للنفس بما فيه من الجمال والرقة والغزل، والانبعاث يعني الحركة والاضطراب، والحفيف هو صوت الحركة، والقمر أُريدَ به تورية عن معنى آخر، وأمّا انحدار دمع الحبيبة أمام عين المحب فيُراد به التفسير الصامت لمعنى روح ذلك المحب، وكذلك أراد الرافعي بالخلقة والتركيب في كتابه ذاك عدم الانخداع بالمنظر، بل لا بدّ "من التّفرّس فيما يدلّ عليه"، وبذلك ينتهي الحديث عن كتاب حديث القمر الذي يُعدّ بحقّ أحد أعظم كتب الرافعي الإنشائيّة التي كتبها بروح الأديب والشاعر والعاشق معًا " (الجوزو ، 1985 ، ص 60).

أما أهداف الدراسة، فتكمن في:

– الوقوف على معنى الروابط الحجاجية وأنواعها ، وتحليلها من ناحية الشكل والمضمون.

– الكشف عن الروابط الحجاجية المستعملة في مقالة الرافعي " حديث القمر "، وتحليلها حجاجيا.

– محاولة تطبيق الروابط الحجاجية في تحليل مقالة حديث القمر.

و تكمن أهمية هذه الدراسة "دور الروابط الحجاجية وأثرها في حديث القمر للرافعي"

بأنها تسلط الضوء على مقالات الرافعي ، بوصفها نصا حجاجيا يحتوي على مجموعة من التقنيات والروابط الحجاجية الهادفة إلى إثارة الأذهان ، فهي محاولة للكشف عن هذه التقنيات و الروابط المستعملة ، فضلا عن القيمة الثقافية والأدبية في مقالة الكاتب ، التي سيعني البحث ببيانها والكشف عن أبعادها.

العدد السابع والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – كانون الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أما عن الدراسات السابقة : لم يقف الباحث على أي رسالة أو أطروحة تتناول موضوع دور الروابط الحجاجية وأثرها في حديث القمر للرافعي ، وهو الموضوع الذي تنتصب هذه الدراسة لمعالجتها ، إذ كان موضوعا يتناول واحدة من أوضح الظواهر الأسلوبية في مقالاته ، وعلى هذا فإن الباحث سيفيد من بعض المراجع السابقة التي تتصل بهذا الموضوع سواء من قريب أو من بعيد ، وكانت على النحو الآتي :

- دراسة بو خشرة ، خديجة (2010) الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي مقاربة تداولية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة وهران ، وهران ، الجزائر .

- دراسة أبو هنية ،عمر ذياب (2019) الروابط والعوامل الحجاجية في مقامات الهمذاني، المجلة العربية للنشر العلمي ،العدد 11، السنة 29.

- دراسة مخلوفي ، الضاوية (2017/2016) آليات الحجاج في كتاب وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي الجزء الأول نموذجا ، رسالة ماجستير ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر.

ويتميز هذا البحث عن البحوث و الدراسات السابقة بالكشف عن أنواع الحجاج وأساليبه وأنواعه المستخدم في المقالة عند ابراهيم العجلوني ، وذلك لأهمية الربط بين الحجاج والقضايا التي ستكون في ضوئها. ومن النصوص التي سيهتم بها البحث : جمهرة مقالات الكاتب العجلوني.

و اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنه الأنسب لهذا النوع من البحوث من حيث وصف الظاهرة الحجاجية ويتضمن ذلك (إيصال الأفكار ، و التأثير في قناعات المخاطبين ، ودفعهم إلى تبني فكرة ما بكل وسيلة مقنعة) وتحليل الشواهد وفق آليات النظرية الحجاجية.

الروابط الحجاجية

تعد الروابط الحجاجية من الآليات اللغوية الهامة التي يرتكز عليها التحليل الحجاجي ، وفي هذه الدراسة سنقف على بعض استعمالاتها وفعاليتها من خلال تقصّيها ومتابعتها في مقالة حديث القمر للرافعي ، لمعرفة أثرها الحجاجي ودورها في الربط والتقريب بين المعاني وتحقيق هدف التأثير والاقناع . ويمكن تعريف هذه الروابط الحجاجية بأنها : " عبارة عن علاقة لسانية تربط بين غرضين لغويين داخل القولة نفسها (الرقبي ، 2011 ، ص 103) فيكون الرابط إذن هو المعيار الذي يضبط المقتضيات التي يمكن استخلاصها من القول ويحدد توجيهاته ، ويحد من التأويلات المختلفة.

ويعرف كذلك الرابط الحجاجي بأنه وحدة لغوية تصل بين ملفوظين أو أكثر تم سوقهما ضمن نفس الاستراتيجية الحجاجية (علوي ، 2010، ص 437) . أو " طرق الربط بين النتيجة وحجتها "(المبخوت ، ص175) . أو " مكونات لغوية تداولية تربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر ضمن استراتيجية حجاجية واحدة بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية (بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج). (صغيور ، ص 1).

فالروابط تربط بين قولين ، أو بين حجتين على الأصح أو أكثر ، وتسند لكل قول دورا مجددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة (العزاوي ، 2006 ، ص25) . ولا يمكن لأي نص أن يكتمل وتتحقق الوحدة بداخله، إلا بجمع أجزاء النص ببعضها البعض ووجود انسجام وتماسك بين أجزائه ليتحقق بذلك وحدة النص.

وقد اهتم الباحثان "ديكرو" و " أنسكومبر " بهذه المكونات نظرا لفائدتها في إحداث الانسجام في الخطاب ، وقيادة المستمع إلى الاتجاه الذي يرومه المتكلم . وتنقسم هذه المكونات إلى روابط وعوامل حجاجية تتمركز أساسا في أبنية اللغة ، ولذلك فإنها تمثل المؤشر الأساسي والدليل القاطع على أن الحجاج له مؤشر في بنية اللغة ذاتها كما تعد من المفاهيم الأساسية في التصور الحجاجي اللساني كونها أدوات تساعد على عقد علاقات بين الحجج والنتائج في صورة تناسب سياق المتلقي ومحيطه " (العزاوي ، 2006 ، ص25).

ومن المعروف أن الحجاج يعتمد في دراسته على علاقة العناصر ببعضها البعض والروابط التي تربط الأجزاء وتصل المكونات ببعض، والتي تتعاون كلها للوصول إلى نص مترابط منسجم، وبالتالي نصل إلى الهدف المنشود وهو اقناع المتلقي بالموضوع المطروح .

ومن خلال ما سبق تعمل الروابط على ربط وتنسيق النص منسجم في داخله ، مما ينتج عنه وحدة كلية ، وكذلك تعمل هذه الروابط على ربط الحجج بنتائج ، سواء بروابط ظاهرة أو مضمرة مما يترتب عليه إقناع المتلقي الذي هو هدف العملية الحجاجية.

وإذا كان يعتبر الخطاب اللغوي الإقناعي يخضع لقواعد اللغة ، ويتمكن بذلك من تقديم الحجج واستنباطها واستقرائها عن طريق الروابط مثل:

ذلك أن، حيث، لهذا، ثم، أجد أن، أدى إلى، من جهة أخرى، لكن، بل، إذن، حتى، لا سيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، .....

فالروابط إذن هي أحد المؤشرات الحجاجية التي تسند معنى من المعاني إلى الأقوال التي يتلفظ بها المتكلم، وبها يوجه وجهة الحجاج بداية ونهاية ، افتتاحاً واختتاماً، لأن العلاقات بين القضايا والأحداث، إنما يعبر عنها على نحو خاص بواسطة مجموعة من العبارات من مختلف أنواع التراكيب، مما يمكن أن طلق عليها هنا اسم الروابط الحجاجية (الشهري ، 2010 ، ص 101–103) .

ويعتبر موضوع الروابط التداولية موضوعاً أساسياً في تحديد بنية الخطاب لكونه آلية مهمة في عملية الربط داخل النسق الواحد، وقد اهتم العلماء بموضوع الروابط في اللغات الطبيعية، انطلاقا من دورها في فهم أبعاد الدلالية التي تؤدي دور القرائن في ترجيحها، كما ساهمت مرجعيتها في تقسيم أطراف الكلام بين قول منطوق ومقتضى مسكوت عنه، ولها وجودها في الكلام بمساهمة منطقية في ترتيب الأغراض التي تقتضيها الجمل (الرقبي ، 2011 ، ص 103).

ويمكن تقسيم الروابط الحجاجية إلى ثلاثة أنواع : الرابط النحوي التركيبي ، الرابط الدلالي ، الرابط التداولي. **فالرابط النحوي:** يتم فيه ربط موضوعات مثل الفاعل والمفعول إلى محمولاته ، فيدخل في مجال هذه الروابط النحوية الإعراب المعمول فيه. **أما الرابط الدلالي:** فهو الذي يتم فيه عادة ربط الموضوعات الى الفعل بواسطة الحرف بموجب دلالته الخاصة. **أما الرابط التداولي:** فهو الذي يركز على العلاقة التي تربط الكل الدلالي التركيبي من جهة، ومتداول اللغة من جهة أخرى (الرقبي ، 2011 ، ص 103) .

وهذه الروابط قد تكون لفظية واضحة، وقد تكون معنوية تفهم من السياق ضمنيا.

أما العزاوي فقد ميّز الروابط بأنماط عدة:

أ. الروابط المدرجة للحجج (حتى ،بل ، لكن ، مع ، ذلك ، لأن ...). والروابط المدرجة للنتائج : (إذن ، لهذا ، وبالتالي ، ..) .

ب. الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى ، بل ، لكن ، لاسيّما ، ..) . والروابط التي تدرج حججا ضعيفة .

ت. روابط التعارض الحجاجي (بل ، لكن ، مع ذلك ، ...) . وروابط التساوق الحجاجي (حتى ، لا سيّما ، ..) (العزاوي ، 2006 ، ص25) .

وهكذا فإن القيمة الحجاجية لأي قول أو خطاب، يتم تحديده بواسطة الاتجاه الحجاجي الذي يكون إما صريحا وإما مضمراً . فإذا كان القول مميزاً أي مشتملاً على بعض الروابط الحجاجية، فإن هذه الروابط تكون متضمنة لمجموعة من التعليمات والإشارات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب نحو نتيجة محددة، وهي التي تمثل القصد الحقيقي للمتكلم، حتى إن لم تكن البنية التركيبية دالة عليها دلالة وضعية مباشرة، وهي التي يتم استقبالها من قبل المخاطب، ويؤولها قبل الاستجابة .

أما في حالة كون القول أو الخطاب غير مميز، فإن التعليمات المحددة للتوجيه الحجاجي تستنتج من ألفاظ الخطاب ومفرداته، بالإضافة إلى مقاصد المتكلم والسياق التخاطبي.

إن ما يساعد المخاطب إذن على إدراك التوجيه الحجاجي المتضمن في القول أو الخطاب هو مجموع المؤشرات أي الروابط الحجاجية والمعاني المضمرة التي يتم ادراكها بواسطة معرفة العلاقات المشتركة بين المتخاطبين، ونوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب ، إضافة إلى مقام التخاطب والمعرفة المشتركة بينهما .

وباختصار موجز مما سبق ، نجد أن الروابط الحجاجية تؤدي وظيفة أساسية وجوهرية داخل الخطاب ، ويتمثل في ربط وتنظيم بنية النص ، والعمل على زيادة تماسك وانسجام هذه المكونات الداخلية ، مما يؤدي إلى وحدة واحدة تفضي مقدماته إلى نتائجه ، " وبذلك تعد من أهم العناصر الحجاجية في الحجاج من خلال جعلها للنص الحجاجي نصا مترابطا منسجما ، فوصل الحجج والنتائج بروابط لغوية يجعلها متعلقة ببعضها البعض مما يجعل من النص نصا متماسكا منسجما يؤدي دوره الإقناعي المنوط به وهو إقناع المتلقي " (صغيور ، ص 2).

فالروابط الحجاجية، يمكن الاستفادة منها في تحليل النصوص الأدبية ، ليظهر قدرتها الإقناعية، وفعاليتها الخطابية على مستوى التواصل والممارسة الحجاجية. وهي " المؤشر الأساسي والبارز ، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها " (العزاوي ، 2006 ، ص55) . و سأحاول في هذا الدراسة إظهار الروابط من خلال النص الحجاجي في حديث القمر.

العدد السابع والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – كانون الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ومن الأمثلة على الروابط الحجاجية في حديث القمر ما يلي .

- الرابط الحجاجي (الواو)

إن الواو بوصفها أداة من أدوات الرابطة ، كان لها دور كبير في ربط الوحدات والعناصر الموجودة في المقالات ، فقد استخدمها الرافعي كثيرا ، وذلك باعتبارها الجمع المطلق (المرادي ، 1992 ، ص 158) ، فهي تربط وتجمع بين الكلام بعضه ببعض ، وتعد الواو في الحجاج من أهم الروابط الحجاجية لأنها تجمع بين أمرين : الجمع بين الحجج ورصفها وربط المعاني ، وتقوية هذه الحجج وزيادة تماسكها بعضها ببعض وتقوية كل منهما بالأخرى من أجل تحقيق النتيجة المبتغاة (صغيور ، ص 5) .

وينتج عن الربط بالواو علاقة التتابع التي تجعل المخاطب يلقى حججه بطريقة متسلسلة ومرتبة ، فالربط الحجاجي بواسطة هذه الأداة يسهم في بناء هيكلية مكونات الخطاب و ضبط منهجه بربط المقدمات بالنتائج داخل الخطاب الواحد(الشهري ، 2010 ، ص 472).

لذلك سعى الرافعي على ربط وجمع القضايا والآراء في نصّه ، وجعلها متتابعة ، بهدف استمالة المتلقي لمتابعته حتى يصل إلى النتيجة ، فأثر هذا الربط هو إيصال الأفكار والمعتقدات إلى المتلقي وإقناعه بها . ومن الأمثلة على استعمال الرافعي لهذا الرابط في مقالته ، قوله :

- " هذا هو الرجل الإلهي الذي لا ينثني لأنه الحق ، ولا ينحرف لأنه العدل ، ولا يخاف لأنه البأس ، ولا يضعف لأنه القوة ، ولا يحيف لأنه الإنصاف ، ولو تعلق به أهل الأرض جميعا لمشى بهم مطمئنا ؛ لأنه في نفسه كقطعة من نظام السماء الذي يجذب الأرض في قضائها "(الرافعي ، 2016 ، ص 30) .

فالربط الحجاجي بواسطة الواو في المثال السابق قام بالوصل بين الحجة والأخرى ، كما قام بترتيب هذه الحجج لتشكل بنية عامة ومن ثم تقوية وتدعيم النتيجة التي هي " صفات الرجل الإلهي " . فالحجج جاءت مترابطة متسقة ، وكل حجة تلحق الأخرى تساندها وتقويها وذلك بفضل الرابط الحجاجي (حرف الواو) . فالرافعي قصد من خلال ما سبق أنه ينبغي على الرجل الإلهي أن لا ينثني ، ولا ينحرف ، ولا يخاف ، ولا يضعف ، ولا يحيف لأنه على حق وصلاح وهو سبيل المصلحين .

وقد تساندت هذه الحجج مدعمة بعضها بعضا لتحقيق نتيجة واحدة مؤداها " صفات الرجل الإلهي " ، ويمكن التمثيل عليها حجاجيا كما هو آت :

حجة 1 _____ ولا ينحرف لأنه العدل .

حجة 2 _____ ولا يخاف لأنه البأس .

حجة 3 _____ ولا يضعف لأنه القوة .

حجة 4 _____ ولا يحيف لأنه الإنصاف.

النتيجة _____ " صفات الرجل الإلهي "

والرابط الحجاجي الواو قام بوصل الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة وهي " صفات الرجل الإلهي " ، فهو كما رأينا " ليس حجة في ذاته وإنما كان وسيلة للربط بين الحجج وتوجيهها للوصول إلى النتيجة التي أراد السياق العام تأكيدها " (صغيور ، ص 7) . وهناك أمثلة أخرى موجودة في حديث القمر ، نذكر منها مثلا :

- " ولله ابتسامتك الذي ترتوي منه النفوس ويخلق منه الحب والخير ، وأراه في كل زهرة تفوح ، وفي كل نجم يلوح ، وفي هذا القمر الذي يتصبى الروح كأنه طلعة حبيبة الروح ، وأراه في غير ذلك من صفات الجمال التي تفيض عليها هذه النعمة السماوية لتنطق منها بأبلغ ما تفهمه النفوس من المعاني كما تنطق الحسناء حين تبتسم وهي لا تتكلم "(الرافعي ، 2016 ، ص 76).

- " فمن أحب ورأى حبيبته من فرط إجلاله إياها كأنها خيال ملك يتمثل له في حلم من أحلام الجنة ، ورأى في عينيها صفاء الشريعة السماوية ، وفي خديها توقد الفكر الإلهي العظيم ، وعلى شفتيها احمرار الشفق الذي يخيل للعاشق دائما أن شمس روحه تكاد تمسي ، ورآها في جملة الجمال تمثال الفن الإلهي الخالد "(الرافعي ، 2016 ، ص 20) .

وغيرها من الأمثلة الأخرى المترامية في ثنايا مقالة حديث القمر ، ونلاحظ من الأمثلة السابقة التي أوردناها أن الرافعي ربط بين الجمل باستخدام الرابط الحجاجي الواو ، ليجعل منها مقدمات ترتبط ببعضها البعض ، وتقوي بعضها للوصول إلى الهدف الأساسي وهو إقناع المتلقي بالأفكار والمعتقدات الواردة في الخطاب .

– الرابط الحجاجي (لأنّ).

" وتعدّ لأن من ألفاظ التعليل ، بل هي من أهمها فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه . وتستعمل لتبرير الفعل ، كما تستعمل لتبرير عدمه " (الشهري ، 2004 ، ص 502). وبالعودة إلى مقالة حديث القمر نجد أن الرافعي أكثر من استعمال هذا الرابط بشكل لافت وملحوظ ، ومن ذلك قوله : " هذا هو الرجل الإلهي الذي لا ينثني لأنه الحق ، ولا ينحرف لأنه العدل ، ولا يخاف لأنه البأس ، ولا يضعف لأنه القوة ، ولا يحيف لأنه الإنصاف ، ولو تعلق به أهل الأرض جميعا لمشى بهم مطمئنا ؛ لأنه في نفسه كقطعة من نظام السماء الذي يجذب الأرض في قضائها " "(الرافعي ، 2016 ، ص 30) .

ويبرر الرافعي هنا سبب عدم انثناء الرجل الإلهي بكونه على حق ، وسبب عدم انحرافه بكونه عادل ، وسبب عدم خوفه بكونه القوة بذاتها ، وسبب عدم ضعفه ، " وبهذا يتقرر أن الرابط السببي لأنّ يمكن أن يستعمل في الحجاج بغض النظر عن فعل الكلام المنجز " (الشهري ، 2004 ، ص 479).

لذلك برر الرافعي على القضايا والآراء في نصّه ، وجعلها مقنعة للآخر ، بهدف استمالة المتلقي لمتابعته حتى يصل إلى النتيجة ، فأثر هذا الربط هو إيصال الأفكار والمعتقدات إلى المتلقي وإقناعه بها . ومن الأمثلة على استعمال الرافعي لهذا الرابط في مقالته ، قوله :

– " تلك اللغة الخاصة بالأطفال والتي يضحك منها الرجال أحيانا إذا استمعوا لها ؛ لأن في أنفسهم بقية من أثرها "(الرافعي ، 2016 ، ص 34) .

– " ولكن ثغرها البسام لم يدعني أموت في شعاعه الذي يتدفق بحياة حلوة لذيذة وبموت أحلى منها وألذ غير أنه لا يميت لأن الحسن يبخل على الحب بمثل هذا الموت الهنيء " (الرافعي ، 2016 ، ص 52) .

– الرابط الحجاجي (لو) .

" تدل على امتناع الثاني لامتناع الأول " (المرادي ، 1992 ، ص 273) .). وبالعودة إلى مقالة حديث القمر نجد أن الرافعي أكثر من استعمال هذا الرابط أيضا وبشكل واضح، ومن ذلك قوله :" وأنت لا ترى أسعد الناس وأهنأهم بسعادته إلا ذلك الذي يجمع قلبه وعقله أن لا يصدر أحدهما عن الآخر إلا راضيا مرضيا ، فترى في آثار عقله طهارة القلب وإيمانه ، وفي آثار قلبه إجادة العقل وإحسانه ، ولو كشف لك عن بواطن الأنبياء لتجلت لعينيك هذه الحقيقة ماثلة "(الرافعي ، 2016 ، ص 61) .

- " ليس جمال الطبيعة إرادة ولا شهوة ، وإن هذه الساعة الفلكية الكبرى (السماء) لا تقدم الوقت ولا تؤخره من أجلنا ، فإنه لا تنتهي إليها من هذا العالم كله إلا الألحاظ ، ولو اجتمع أهل الأرض في صعيد واحد وصوبوا ألحاظهم جميعا إلى ذرة من الهباء ما تحركت الذرة ولا قدمها ذلك ولا آخرها "(الرافعي ، 2016 ، ص 74) .

- " ولو كان المقامر يحزن على مقدار ما أضاعه دون المقادير الوافرة التي قامر عليها وكان يرجو أن يفوز بها ، لما عاد امرؤ قط إلى المقامرة بعد الخسارة الأولى ، وكذلك لو كان الإنسان يهتم بالمصيبة على قدرها في نفسها لا بمقدارها في نفسه ، لذهب بها وقته ؛ لأن الوقت يسير بكل شيء تدفعه فيه ، ولكانت هذه المصائب في تاريخ الإنسان كأنها عطاس يزعج قليلا ثم يعقب انتهاضا من عثرة الرأس وراحة "(الرافعي ، 2016 ، ص 82) .

– الرابط الحجاجي (بل) .

حرف يفيد الإضراب بمعنى إبطال الحكم السابق عليها والانصراف عنه إلى الحكم التالي (النادري ، 2002 ، ص 612) ، وقد تعني أيضا " ترك الحكم السابق عليها كما هو ، والانتقال من غرض إلى غرض آخر(النادري ، 2002 ، ص 612) . وأما في الحجاج تتوسط (بل) حجتين ، وتكون الثانية أقوى وأشمل من الأولى . ويمكن التمثيل عليها كما هو آت :

حجة 1 _____ بل _____ حجة 2 (أقوى وأشمل) .

وتكمن حجاجية (بل) في أن المخاطب يرتّب بها الحجج في السلّم ، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة ،وذلك بأن بعضها منفيّ وبعضها مثبت ؛ لأن بل أساسا " حرف إضراب ، وله حالان : الأول : أن يقع بعد جملة . والثاني : أن بعده مفرد . فإن وقع بعده جملة كان اضرابا عما قبلها ، إما على جهة الإبطال ، وإما على جهة الترك للانتقال ، من غير إبطال . وإذا وقع بعد بل مفرد فهي حرف عطف ، ومعناها الإضراب . ولكن حالها فيها مختلف : فإن كانت بعد نفي فهي لتقرير حكم الأول ، وجعل ضدّه لما بعدها " (الشهري ، 2010 ، ص 106) .

وقد وردت (بل) في مقالة حديث القمر في أكثر من موضع ، نذكر منها أمثلة لتوضيح ما سبق ، فمن هذه الاستعمالات ، قوله :

- " فإن الشاعر ليكتب عمن يحبها فيرى كأنه ينفخ في كل كلمة معنى من الحياة ؛ لأنه لا يكتب كلاما بل يخط صورة قلبه " (الرافعي ، 2016 ، ص 22) .

العدد السابع والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – كانون الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

وردت " بل " هنا للإضراب ؛ لتدل على أن الكتابات والأشعار التي يكتبها الشاعر ما هي إلا صورة حية عن قلبه وهو ما يسعى إليه من وراء هذه الكلمات ، وليس مجرد كلمات أسعفته الذاكرة بها ، فلذلك عمد الرافعي إلى تحديد مصدر ومنبع هذه الكلمات باستخدام الرابط (بل) ، فهي بذلك توجه الكلام من أجل تحقيق النتيجة المقصودة من طرفه وهي صدق تعبيراته وأحاسيسه ، وهناك أمثلة أخرى ، نذكر منها :

- " ولا يحسبن الإنسان أنه المستبد بالأرض يقوم عليها بنظامه ويبرأ منها ، فإن الأرض تقوم عليه من قبل بنظامها ، بل هو نفسه معنى من هذا النظام الذي لا ترخص فيه وإنما يقضي على الإنسان وغير الإنسان " (الرافعي ، 2016 ، ص 84) .

- " تاريخ النفس الإنسانية تعلم الناس أن يبدؤوا لغاتهم جميعا بحرف الألف ، لا لأنه من أقصى الحلق ، بل لأنه من أقصى القلب ، بل لأنه من أقصى التاريخ ، بل لأنه أول اسم آدم ذلك العلم الأول في تاريخ الحب " (الرافعي ، 2016 ، ص 16) .

- **الرابط الحجاجي (لكن) .**

وهي حرف استدراك ، ومعنى استدراك : أن تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها ، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك ، فتداركت بخبره ، إن سلبا وإن إيجابا (المرادي ، 1992 ، ص 347) .

فهي بهذا المعنى تفيد نفي الإثبات لما قبلها وتثبته لما بعدها ، فهي إذا توسطت دليلين بوصفهما رابطا حجاجيا ، جعلت الدليل الذي وراءها أقوى من الدليل الذي سبقها ، فتكون بذلك الحجة التي تليها أقوى حجاجيا من الحجة التي تسبقها ، فتقوم بتوجيه النتيجة في الوجهة التي تثبتها الحجة الثانية وتوجه الحديث برمته ، وتكون هي النتيجة المقصودة من طرف المتكلم أو المحتج (الدريدي ، 2008 ، ص 317) .

ويعد الرابط (لكنّ) من الروابط التي تستعمل للتعارض الحجاجي ، ويمكن لنا أن نتمثل ذلك في مقالة الرافعي ، بقوله :

– " ليس كل ما يعجبك يرضيك ، ولكن كل ما يرضيك يعجبك " (الرافعي ، 2016 ، ص 20) .

فقوله : (ليس كل ما يعجبك يرضيك) مثل حجة ، وقوله الآخر : (كل ما يرضيك يعجبك). مثل حجة أخرى متعارضة مع الأولى، فكانت (لكن) نقطة الفصل بينهما. حتى إنه جعل اهتمامه على ما بعدها لقوته فدحضه من دون غيره، فقد ربطت لكن بين الجملتين ربطاً حجاجياً ، وجعلت الدليل الثاني أقوى حجاجياً من الأول . أي أن الرضا هو سبيل الاعجاب وليس العكس .

– " وتسبق مجيئه أعاصير ومحن تهب على الأرض فتقيم الدنيا قيامة لا لظلم الناس ، ولكن لتمد طريق الإعصار الساكن الذي يولد هادئا منطويا على حقيقته انطواء القنبلة " (الرافعي ، 2016 ، ص 29) .

– " ولشد ما اجتهد العلماء والفلاسفة في تعريف السعادة ، ولكنهم عرفوها بتنكيرها ، إذ ألبسوها ألفاظا من لغة البؤس كانت لها كثياب الحداد "(الرافعي ، 2016 ، ص 35) .

العدد السابع والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – كانون الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

من هنا فإن (لكن) متى توسطت دليلين باعتبارهما رابطاً حجاجياً جعلت الدليل الوارد بعدها أقوى من الدليل الذي سبقها فتكون للاحق الغلبة المطلقة بحيث يتمكن من توجيه القول بمجمله، فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا الدليل الثاني ويخدمها هي نتيجة القول " (الدريدي ، 2008 ، ص 347).

- **الرابط الحجاجي (حتى) .**

ومن الروابط المدرجة للحجج الرابط الحجاجي (حتى)، فـ " الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة ، أي إنها تخدم نتيجة واحدة ، ثم إن الحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون الأقوى، ولذلك فإن القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الابطال والتعارض الحجاجي "(العزاوي ، 2006 ، ص 73) .

ولا يكون الربط أو الجمع بين الحجتين إلا بتوفر شروط عدة :

1. أن القسم الأول من الكلام الذي يسبق (حتى) يشكل حجة تخدم نتيجة معينة .
2. أن الحجة اللاحقة ل (حتى) يشتركان في الوجهة الحجاجية ، أي أنهما يخدمان النتيجة نفسها .
3. أن الحجة التي تلي (حتى) تضيف طاقة حجاجية للحجة التي تسبق الرابط ولكن لا تكون أقوى منها (الدريدي ، 2008 ، ص 335) .

وتعتبر (حتى) من أدوات السلّم الحجاجي ، " لدورها في ترتيب منزلة العناصر ، ولما لمعانيها واستعمالاتها من سلميّة " (الشهري ، 2010 ، ص 108) . ومن الأمثلة على استعمالها في مقالة الرافعي قوله :

- " ثم سرى قليلا قليلا ، فما هو إلا أن أصاب قلبي حتى انتفضت كأن قبلة حارة انطبعت عليه ومسته بشفتيها الرقيقتين، فكانت هذه الطرفة هدية الروح إلى القلب " (الرافعي ، 2016 ، ص 25) .

فالرابط الحجاجي هنا قد ربط مجموعة من الحجج كما هو آتٍ :

الحجة الأولى (سرى قليلا قليلا).

الحجة الثانية (أصاب قلبي).

فهذه الحجج الواردة قبل (حتى) تخدم نتيجة واحدة وهي (احتفال الحواس بلقاء الروح) والتي أشار إليه الرافعي بقوله : " انتفضت كأن قبلة حارة انطبعت عليه ومسته بشفتيها الرقيقتين" .

نلحظ أن(حتى) استعملت للربط بين حجتين لهما توجه حجاجي واحد ، ويخدمان نتيجة واحدة، لكن الحجج التي جاءت قبل (حتى) كانت أسباب ومسببات لنتيجة متوقعة جاءت بعد (حتى) وهي (انتفضت كأن قبلة حارة انطبعت عليه ومسته بشفتيها الرقيقتين) ، أي مشهد الروح وهي عائدة وقد انقلبت من سفر طويل تحف بها الأفكار والآمال .فالحجة التي جاءت بعد حتى كانت الأقوى في تثبيت النتيجة وإن كانت الحجج التي قبلها قد ساندتها ودعمتها .وهناك أمثلة عديدة نكتفي بذكرها والإشارة إليها ، ومن هذه الأمثلة :

- " حنانيك يا قمري الجميل ورحماك ! امسح عن قلبي هذه الغيمة السوداء التي انتشرت من أجنحة الذباب ، فقد رانت عليه وغشي ظلها على بصري حتى ما أراك على وسامتك وضيائك إلا كوجه من تلك الوجوه " (الرافعي ، 2016 ، ص 37) .

- " ابكِ أيها المحزون ، فإنك ستجد من يكفكف دموعك كما وجدت من أرسلها لا تجد من يتداركها ويردفك منها خيرا ؛ لأن أهل الخير لا يعرفون حزنك – إن عرفوه – حتى تبكي بالعين الثرة ، وحتى تتوسل إليهم بالطرف المغرورق " (الرافعي ، 2016 ، ص 80) .

ولكثرة ما يحتمله النص من الرابط الحجاجي (حتى). اكتفينا أن نشرح مثالا ونشير إلى الأمثلة أخرى مختارة ، لأن الاستعمال أكثر مما هو واضح في الأمثلة ، ولكن حتى لا نطيل أكثر في هذا الرابط.

- **الرابط الحجاجي (إنّ) .**

من الحروف المشبّه بالفعل ، يدخل على الجملة الاسمية ، فينصب المبتدأ اسما له ، ويرفع الخبر خبرا له . ومعناه يفيد " نسبة الخبر للمبتدأ ، ونفي الشكّ عنها والإنكار لها " (النادري ، 2002 ، ص 397). وغالبا ما يأتي للتأكيد والإثبات للشيء ، وهو من الأدوات الفعالة حجاجيا ، " ولذا فإنه من روابط التي تسهم في ربط السبب بالنتيجة عبر تقوية ودعم النتيجة وتعليلها ما يحمل المخاطب على القبول والإذعان ومن ثم الاقتناع " (صغيور ، ص 11) .ومن الأمثلة على استعمال الرافعي للرابط الحجاجي (إنّ) ما يلي :

- "ولعمري أيها القمر ، إني لأشكو إليك بثّي وحزني ، وأناجيك بأحلام النفس الإنسانية ، وإنّك لتجيبني الجواب الصامت البليغ فتطرح أشعتك في قلبي آخذ من بعضها قولا وأرجع إليك بعضها قولا " (الرافعي ، 2016 ، ص 34) .

يصف الرافعي حالة حزنه ومناجاته بأحلام النفس الإنسانية ومحاوراته مع القمر ، كالعاشق يرى في " ألحاظ حبيبته بالنظرة الواحدة ما في نفسه وما في نفسها " (الرافعي ، 2016 ، ص 34) وقد أكّد على ذلك عبر الرابط الحجاجي (إن) التي أفادت التأكيد وإثبات الشكوى والمناجاة. فالرابط (إنّ) ساهم في ربط السبب والتعليل الذي هو (الشكوى والحزن والمناجاة) بالنتيجة التي هي (إنارة وشعاع القلب) .

- " إنّهم لا يعتدونك شقيا البتّة حتى نشفى بثلاثين نوعا من البؤس كما سعدت بثلاثين نوعا من السعادة " (الرافعي ، 2016 ، ص 35) .

- " ليس الفرق النظري بين المؤمن والملحد إلا في تسمية جهل العقل بما وراء الطبيعة ، وكل ما تشعب من ذلك فإنّما هو براهين علمية على صحة تسمية هذا الجهل " (الرافعي ، 2016 ، ص 62)

- **الرابط الحجاجي (الفاء) .**

الفاء من الروابط الحجاجية ، ولها وظيفة مشابهة للواو ؛ فهي تفيد الترتيب في الحجج ، وربط النتائج بالمقدمات ، أي ربط الأسباب بالنتائج .

العدد السابع والعشرون
تاريخ الإصدار: 2 – كانون الثاني – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

وبالعودة إلى مقالة الرافعي ، نجدها في كثير من أقواله ، ومن ذلك :

- " وإن الله سبحانه وله العزة لا يبالي باصطلاح الناس ولكنه نظر مصلحتهم حين يعطي ويمنع ، فليس في الأرض فقير قط غلا عند نفسه ، ولو اطلع كل إنسان على الغيب لما اختار إلا ما هو فيه " (الرافعي ، 2016 ، ص 92) .

يريد الرافعي من ذلك ، أن الله سبحانه وتعالى لا يبالي رضا الناس وسخطهم ، بل جعل العدل وعدم الظلم هو المقياس والتفاضل بينهم. ونلاحظ أن الرابط الحجاجي (الفاء) ربط بين السبب " الحجة "وهي (اصطلاح الناس) مع النتيجة وهي (الخير الذي اختاره الله للناس) . وعلى ذلك قِس في الأمثلة الآتية :

- " أيها القمر ! إن كان في الناس من يظن أن الفلسفة تكون دين المستقبل الراقي فإنّما هي فلسفتك المؤمنة الجميلة التي تجمع الأديان وهو الحب السماوي " (الرافعي ، 2016 ، ص 93) .

- " واعلم أن الفقر الذي يلتوي عن طريقه كالسيف القاطع ؛ إذا لم يضرب به إلا صفحا فإنه ينكسر لا محالة ويكون حامله قد أهان أشرف ما فيه إذ نزل به دون (حده) ، فلا تهن الفقر الشريف حتر ترد به على الله صالحا نقيّا يوضح منك بكل ضاحكة " (الرافعي ، 2016 ، ص 45) .

الخاتمة

من خلال ما سبق يظهر لنا مدى مساهمة الروابط اللغوية والحجاجية في تسهيل تلقي الخطاب وفهمه والإقتناع به ، وأنه جزء لا يتجزأ من مكونات النص إلى جانب التركيب والدلالة ، فقد ساعدت الروابط بالوصل والربط بين الحجج والنتائج وتأكيدها ، وأفادت أيضا في تدعيم الحجج بعضها بعضا ومساندتها وتوجيه الخطاب إلى ما يرنو إليه الكاتب (الرافعي) . وساهمت أيضا في تشكيل البنية العامة للخطاب في المقالة ، حيث ساعد هذا الربط على بناء وتكامل من الخطاب وانسجامه وتوافقه ؛ مما يسهل على المتلقي فهمه ، ويتحقق في ذلك هدف الخطاب من ناحية الكاتب وهو الإقناع والتأثير في المتلقي . ويبدو أن الغرض الحجاجي كان حاضرا وبشكل لافت من خلال وظيفتي الإقناع والتأثير ومن ثم تثبيت أو تغيير الاعتقاد ، وبذلك يوظف الرافعي كل العناصر داخل النص من أجل تحقيق المقصد وهو إقناع المخاطب .

المصادر والمراجع

أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، ص 25 .

الجوزو مصطفى (1985)، مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية، دار الأندلس ، بيروت ، ج 1 ، ص 60 .

الدريدي ، سامية (2008) . الحجاج في الشعر العربي القديم – من الجاهلية إلى القرن الأول الهجري / بنيته وأساليبه ، ص 347 .

الرافعي ، مصطفى صادق (2016) . حديث القمر ، ط 1 ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ص 30 .

الرقبي ، رضوان (2011) . مجلة عالم الفكر ، العدد 2 ، المجلد 4 ، اكتوبر – ديسمبر ، ص 103 .

الشهري ، عبدالهادي (2010) . آليات الحجاج وأدواته ، ضمن كتاب : الحجاج ومفهومه ومجالاته ، إشراف : حافظ إسماعيلي علوي ،ط1 ، عالم الكتب الحديث ، اربد – الأردن ، ج 1 ، ص 101–113 .

صغيور ، ابتسام (د.ت) دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي (دراسة تطبيقية في سورة الأعراف) ، جامعة المسيلة ، ص 1

علوي ، حافظ اسماعيلي (2010) . فريق البحث التونسي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ، عالم الكتب الحديث ، اربد – الأردن ، ط 1 ، ، ج 1 ، ص 437 .

المبخوت ، شكري (د.ت) . نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، فريق البحث في البلاغة والحجاج ، ، إشراف : حمادي صمود ، كلية الآداب ، منوبة ، ص 375 .

المرادي ، الحسن بن قاسم (1992) . الجنى الداني في الحروف المعاني ، ت : فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ص 158 .

النادري ، محمد أسعد (2002) . نحو اللغة العربية ، ط 1 ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ص 612 .

Abstract

"The Role of Polemics Links in Al-Rafi'i article " Hadith Al-Qamar".

This study aimed to uncover polemics linguistic techniques in Al-Rafi'i article “Hadith Al-Qamar".

This study was based on focusing on the most used polemics links in the article, by finding and standing on it, To see the extent of its polemics power and the role it contributed to link and approximate meanings and achieve persuasion and influence. Therefore, this study focused on two main dimensions:

1. Theoretical dimension, by defining the concept of polemics links, their uses and patterns.
2. .The procedural dimension, by Modeling Al-Rafi'i article “Hadith Al-Qamar" as a polomics text.

Key words: Polemics links, Al-Rafi'I, Article, “Hadith Al-Qamar."